تعريب التعليم الجامعى(*)

ضرورات مُلزِمة ، ومنافع مؤكّدة ، واعتراضات مُفنّدَة

للأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمى محمد

١ - تقديم :

١-١ لغة تدريس العلوم فى الجامعة موضوع بالغ الخطر ، وليس من المبالغة فى شىء أن نعتبره من أحقّ قضايانا بالدراسة الجادّة والمناقشة المستفيضة والمواجهة الواقعية ، إذا ما أردنا أن نتلمّس طريقنا إلى تعليم جامعى حىٍّ فعّال ونهضة حضارية شاملة . والموضوع - كأية قضية ذات خطر - واسع ومتشابك الفروع ، وفيه وجوه من الرأى متعارضة . والمعوّل هنا على الموازنة الدقيقة بين عناصر السلب والإيجاب ، وبين الممكن المستطاع والمتعذر أو المستحيل .

١-٢ ونداؤنا بأن تكون اللغة العربية لغةَ تلقّى العلوم فى المرحلة الجامعية الأولى ليس مبعثه نُعرة قومية ، أو اعتزازاً باللغة العربية وغيرة عليها (وهى جديرة بهما ، ولاريب) ، وإنما هو استجابةٌ لضرورات ملزمة ، ولتجنب أضرارٍ بالغة وتحقيق فوائدَ مؤكدة . وسنتناول أهم جوانب القضية - فى حدود الوقت المتاح - بالمناقشة الموضوعية الهادئة . وكدت أحجم عن الكلام فيها ، قنوطاً من جدوى تكراره ؛ فقد سبقنى إليه جيل من أساتذتى الروّاد الأجلاء وكوكبة من قادة الفكر العربى ، كما أننى عاودت مراراً الحديث والكتابة حولها (مثلا : عبد الحافظ حلمى محمد ، ١٩٧٦ ، ١٩٨٠ - أ ، ١٩٨٨) . ولكن الذى استحثنى هو تجدد الرجاء ، وأن هذه هى أول مرة أعرض فيها حكاية تجربتى الخاصة واجتهادى الشخصى ، أمام هذه الهيئة العليا الموقرة . وما أقوله الآن ليس - على أية حال - بقول «جهيزة »، وما هو بفصل الخطاب .

١-٣ ولا أحاول فى هذه العجالة تأكيدَ ما هو ثابت من كفاءة اللغة العربية كفاءة تامة للوفاء بمتطلبات العلم والحضارة . ولكننى آثرت أن أقتبس هنا ما سجله الأستاذ «رَسِّلْ »، من معهد« ولكوم لتاريخ الطب»

(*) ألقى البحث فى الجلسة الثامنة للمؤتمر المنعقدة يوم الاثنين ٢٣ من شوال سنة ١٤١٤ هـ الموافق ٤ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٤ م .

بلندن ، فى معجم حديث لتاريخ العلوم باللغة الإنجليزية . فبعد أن استعرض الأستاذ المعالم الأساسية للعلم الإسلامى ، قال ما ترجمته :

« وكانت العربية هى أداةَ هذا النشاط العلميّ كلّه . فلما كانت اللغة العربية لغة القرآن ، أصبح لها أهميةٌ خاصة فى الإسلام . بيد أن طبيعة اللغة العربية نفسَها هى التى قامت بالدور الحاسم . فمرونتها الرائعة قد مكنت المترجمين من دمغ مفردات محددة دقيقة للمصطلحات العلمية والتكنولوجية أو ابتكارها . وهكذا اتُّخذتْ لغةً للشعر اللغةَ العالمية للعلم والحضارة »

(G . A . R ussell,1981: p . 215).

٢ - تدريس العلوم بلغة أجنبية فيه صعاب جمة ومثالب بالغة :

٢-١ اللغة العربية هى لغة التعلُّم فى مراحل التعليم العام القومى كلّها فى مصر ، وكذلك هى فى كثير من المعاهد العليا والكليات الجامعية . وينص قانون تنظيم الجامعات المصرية على أن اللغة العربية هى لغة التعليم فيها ، « وذلك ما لَمْ يقرر مجلس الجامعة فى أحوال خاصة استعمال لغة أخرى » . ولكن يبدو أن هذا الاستثناء المقيد لم يزل فى بعض الكليات - وخصوصا كليات العلوم والطب والهندسة - هو القاعدة .

٢-٢ ولا شك أن تمكّن الباحثين وطلاب العلم من لغة أجنبية ذائعة له مزاياه الكبرى ، التى من أبرزها توثيق أواصر اتصالهم المباشر بموارد ثريَّة ثرَّة متجددة تُنشر بتلك اللغة . بيد أننا نعلم أن الكثرة الغالبة من طلاب الجامعة فى مصر قد أصبحوا الآن بعيدين كلَّ البعد عن هذا التمكن . وأمام هذا الموقف المحرج ، يضطر الأستاذ المحاضر إلى صرف جزء كبير من وقت المحاضرة فى تفسير ألفاظٍ وتراكيبَ إنجليزية عادية ، وإلى اللجوء إلى الشرح والتعليق باللغة العربية - أو العامية - مضمنا كلامه هنا وهناك ألفاظا مفككة وجملا بتراء باللغة الإنجليزية ، ومتجنبا على قدر الإمكان الألفاظ والعبارات الدقيقة التى تورطه فى هذا كله . ويعلم الطالب أن المذكرة الرديئة الطباعة أو الكتاب « المقرر » - إنْ وجدا - مستعصيان عليه ، وأن سهرته مع المعاجم - إن كان عنده بعضها - سوف تكون طويلة ، فيلهث وراء المحاضر محاولا تسجيل كلِّ كلمة يتسقطها منه ، فى بنيان غير محكم . ولأنه يدرك أيضا عجزه الكامل عن طلاقة التعبير

باللغة الإنجليزية ، يلجأ إلى استظهار ما دوّن أو قرأ – على عِلاّته – استظهاراً ، دون فهم حقيقى واستيعاب عميق . وهكذا حين ينبغى للطالب الجامعى أن يحلّق إلى آفاق واسعة ويتعمق إلى أغوار بعيدة ، نجد اللغة الإنجليزية قيداً له محدِّدا لأبعاد دراسته كمًا وكيفًا ، ومهدِّدا التعليم الجامعى بالسطحية والضحالة .

٢-٣ ولم يكن هـذا حالنا حين كنا نطلب العلم فى الجامعة ، فقد كانت حصيلتنا من اللغـة الإنجليـزية لا بأس بهـا ، وكنا نتلقّى دروسهـا فى المرحلتين الابتـدائيـة والثـانوية ، وكان بعض أساتذتنا من الإنجليـز . ومع ذلك وَعَتْ ذاكرتى – على ضعفها – القصة التالية التى حدثت منذ نحو نصف قرن :

طلب منا أسـتـاذنا أن نحـددَ بعض مصطلحات الجيولوجيا ونناقشها ، فرحنا نستفتى المراجع – وكان ذلك مستطاعا فى تلك الأيام . وعند مناقشة تعريف مصطلح « الماجما » (أو الصُّهارة) ، قال زميل ، رحمه الله ، ما معناه بالانجليزية : « هى مادة الصخور فى باطن الأرض تشبه البوردج فى قوامها ... إلخ » . وكان أستاذنا – رحمه الله – لماحاً ساخراً لاذعا ، فلم تفته المناسبة ، وسأل زميلنا المسكين : «ما معنى بوردج ؟» . وما كنا فى ذلك الوقت ذقنا البوردج الإنجليزى أو غمسنا فيه إصبعا أو أدرنا ملعقة حتى نعرف قوامه ، فقال زميلنا ، فى بساطة وخفة ظل : « أنا عارف ! أهى مكتوبة كده ! » .

ونقش فى ذاكرتى المغزى العميق لتلك الحادثة ، حيث انقلب التشبيه من وظيفته فى بيان المجهول بالمعروف إلى زيادة فى التجهيل !

٣-٤ هذا عن وظيفة اللغة الإنجليزية فى التحصيل والاستيعاب ، أما عن وظيفتها من حيث اكتساب الطالب مقدرة على التعبير البيِّن الصحيح ، والمحاجّة وتقليب الآراء وإعمال الفكر ، فإننا ندرك أنها قيد على طالبنا فى هذا كله عندما نجده ، فى حلاتب النقاش ، مُلجم اللسان محجما عن السؤال أو الجواب .

وإن ما نُبتلى كلَّ عام بقراءته من إجابات طلابنا فى امتحاناتهم ، يجعلنا نرثى لما يعانون فى محاولتهم التعبير عن أنفسهم ، ويدعونا أيضا للرثاء لأنفسنا لما نعانيه فى تبيُّن ملامح ما يُجهدون أنفسهم فى محاولة الإفصاح عنه . وهـذا أمر يضعنا فى النهاية

فى موقف محيِّر ، بين ما توجبه علينا ضرورات الحكم الدقيق وما يدعونا إليه العدل والإنصاف - ولا أقول الرأفة - من عدم تحميل طلابنا وزرا لعلهم آخر من يؤخذ بجريرته .

٢-٥ وأذكر القصة التالية : فى جامعة عربية تُعدُّ فى الصف الأول بين نظائرها ، عُرضت أوراق إجابة طلاب درجة البكالوريوس على أستاذ إنجليزى ، فكتب فى تقريره ما ترجمته، : « إننى لم أستطع أن أتعرَّف الرؤوس من الأذناب فيما كتبه هؤلاء الطلاب » . ولكنه أردف ، بعد هذه الصراحة المريرة ، بجملة فيها مجاملة وفيها مغزى ، فقال : « ... ولكننى ما أظن أننى سوف أكون أكثر توفيقا لو أنه قد طُلب إلىّ أن أكتب بالعربية ! » . وكأننى بالأستاذ الأريب أراد أن يقول : « لماذا تفعلون هذا بأنفسكم وبأبنائكم ؟! » وفى حوار لى مع الدكتور « دانيلز » ، الأديب واسع الثقافة الذى كان مديرا لمكتب المجلس البريطانى فى القاهرة فى السبعينيات ، أحس الرجل كأننى أقف موقف المدافع مبررا دعوتى لتعريب التدريس فى كليات العلوم ، فقال لى : « لاشك أن الحق معكم ، وأخبرْ زملاءك أننا غير راضين عما تفعلونه بلغتنا ! » .

٢-٦ واللغة - على أية حال - ليست أمرا ثانويا فى حياة الإنسان ، أو مجرد أداة تواصل فى مجتمعه ، بل هى قِوام فكره ووجدانه ، وصنيعة قِيَمه وعقائدة . ويقول « كلود ليفى - ستراوس ، أحد قادة الفكر فى فرنسا : « حين نقول الإنسان ، فإننا نعنى اللغة . وحين نعنى اللغة ، فإننا نقصد المجتمع » . ودراسة العلوم بلغة أجنبية تضفى هذا الوصف « الأجنبى » على العلوم نفسها ، فما يحس الطالب إحساسا عميقا بأنها شىء ينتمى إليه أو إلى بنى قومه ،.بل إنها أقحمت على ذاكرته إقحاما ، فآثارها سريعا ما تزول . وحتى إذا استعمل خريجنا ما تعلّم استعماله فنيا ومهنيا ، ولا يكوِّن العلم والأسلوب العلمى جزءا عضويا من كيانه الفكرىّ والسلوكىّ .

وهذه القيود المحدِّدة ، وتلك الغربة ، قد تقتل فى طالبنا ما فُطر عليه من مقدرة على الإبداع والابتكار ، إنْ لم تكن أساليب التعليم العام قد أجهزت عليها قبل التحاقه بالجامعة .

٣ - اعتراضات مفندة :

٣-١ لعل مشكلة المصطلحات العلمية العربية هى أول ما يُحتج به اعتراضا على تعريب تدريس العلوم . وهذه المشكلة مبالغ

فيها كثيرا ، فقد توافر من هذه المصطلحات ألوف وألوف ، وصنفت فى معجمات من هنا وهناك ، وتعريب التعليم سوف يُربى هذه الألوف ويروِّج تلك المعجمات . ثم إن المصطلحات ، بأية لغة كانت ، ليست هى - على أهميتها - جوهر قضية التعريب ، حتى إنْ ظلت ، أو ظلَّ بعضها ، غير مترجم أو معرَّب ، وإنما المشكلة - كلُّ المشكلة - هى اللغة من حيث هى وسيلةُ الطالب فى التلقى - قراءة أو سماعا - ، وفى الاستيعاب والتعبير ، بل فى التفكير والتصور أيضا ، كما قدمنا .

٣-٢ ويُحتج أيضا بغرابة بعض المصطلحات العربية ، كأسماء العظام والعضلات ، ولكن واعَجبا ، أهى أشد غرابة عليهم من مقابلاتها اليونانية واللاتينية ؟ إنما هى ألفة الاستعمال التى تذهب هذه الغربة . وثمة وهم آخر ، وهو أن المصطلح العربى لا يؤدى فى بعض الأحيان المعنى الذى يؤديه المصطلح الأجنبى . ويبدو أنهم يتناسون أن المصطلح لا يعدو أن يكون عنوانا أو رمزا لفكرة شاملة أو صورة مملوءة بالتفاصيل التى لا يعبر المصطلح ، بمجرد معناه الحرفى، إلا عن أدنى شىء من هذا كله ، بل إنه قد يتجاوز معناه اللغوى تماما . ويحتج أيضا بضرورة التوحيد والإجماع فى استعمال المصطلحات فى أقطار الوطن العربى ، وهو موضوع يكثر فيه الجدل ، وينال الكثير من العناية فى مؤتمرات مجمعنا ، وفى غيره من المجامع والهيئات ، ولكنه - فيما أعتقد - لا يعوِّق تعريب تدريس العلوم ، كما قدمت .

٣-٣ ومما يساق أيضا أن الإنجليزية تُتخذ لغة لتدريس العلوم ، لأنها توفر لقارئها مددا غنيا متجددا من المراجع . ولكننا إذا تأملنا واقع الحال نجد أن اللغة الانجليزية قد أصبحت ، لقدرة الطالب المحدودة جدا فيها ، أغلالا يرسف فيها الطالب مقيدا فى متن واحد ضيق حاول أستاذه جاهدا أن يذلله له ، ولا تمكنه قدراته اللغوية من ارتياد سواه . وعلى نقيض ذلك تماما ، لن تكون اللغة عائقا أمامه للاستزادة من مراجع متعددة باللغة العربية لو أنه تعلَّم بها .

٣-٤ وقد يُعترض بعدم وجود عدد كافٍ من المؤلفات فى العلوم باللغة العربية . ولا شك أنه ينبغى إثراء مكتباتنا بتراجمَ جيدة لأمهات الكتب العلمية ، ويكتب مؤلفة تقدم

آخر منجزات العلوم ومستحدثاتها ، معروضة عرضا حسنا يناسب مستويات الطلاب الذين تقدم لهم ، ومتضمنة أمثلة من بيئاتنا ، ومتعرضة لمشاكلنا الإقليمية الخاصة ، ثم تُحدِّثُ طبعاتها المتلاحقة . والواقع أن هناك جهودا كثيرة مبعثرة ، قد أجهض عدم تعريب التدريس كثيرا منها أو أهدر ثمارها ... وهكذا تدور الدائرة المفرغة . وقد قرأت أن الوزير الأديب الدكتور محمد حسين هيكل ، أصدر عام ١٩٣٨ قراراً بتعريب التدريس فى الجامعة ، ولكن كلية الطب طلبت استثناء لمدة عشر سنوات حتى يتمّ وضع المصطلحات العربية وتؤلفَ الكتب الجامعية . وواضح أن هذه المهلة قد جددت آليا وتطاولت إلى أكثر من نصف قرن !

٣-٥ وفى جولات من الجوار ، اتضح لى أن كثيرا من طلاب كليات العلوم يتمسك بالتعلم باللغة الإنجليزية ، مع عجزه عنه ، لتصوره أنه مستوىً أرقى يميزه عمَّن يتعلمون بالعربية ... وهذا بالقطع وهم باطل . ومن ناحية أخرى ، اتضح لى أن بعض المعترضين من الأساتذة يتعللون بعدم استطاعتهم التدريس باللغة العربية ، ولكن اتضح لى أيضا أن معظم هذا الاعتراض راجع إلى اختيارهم الطريق الأقصر والأيسر لهم ، فهم قد تعلموا بالإنجليزية ومراجعهم إنجليزية ، وبشكل التعريب عبئا إضافيا عليهم . ولكن هذه الدائرة المفرغة أيضا ، ينبغى أن تكسر فى حزم .

٣-٦وكثيرٌ ما يقال عن «استراتيجيات » تعريب العلوم ، على المستويات القطرية والإقليمية (انظر، مثلا : مصطفى الفيلالى ، ١٩٨٢) وهو جدير بالدراسة .

ولكننى أعتقد أن « الاستراتيجية » المثلى قد تكون الشروع بلاتوانٍ ، مع دفعة جديدة من طلاب الجامعة ، فيدور الدولاب ، وتُلبّى الحاجات ، وتُسد الثُّغَر ، وتُفتق الحيل ، ثم تنمو الخطة وتتكامل مع مضىّ طلاب تلك الدفعة فى التعليم عاما بعد عام . (انظر أيضا : ٥-٤ ، ٦-٢) .

٣-٧ وقد يقال إن الحلَّ البديل للمشكلة كلها هو رفع مستوى الطلاب فى اللغة الإنجليزية ، ولكن محاولاتنا المتكررة والمتباينة الوسائل لتحقيق هذا الهدف فى كلياتنا ، لم تثمر - للأسف - ما كنا نبتغيه . وقد يقال إن أصل الضعف فى اللغة سابق للجامعة ،

فيجب معالجته فى التعليم العام . ولكن هذا الحل غير عمليّ وغير صائب أيضا . فإتقان القاعدة العريضة لطلاب التعليم العام لغةً أجنبية يتطلب الاهتمام بها منذ بواكير سنى التعليم ، وهذا أمر غير مستطاع بعد أن اتسع التعليم العام . بل إنه ، حتى إنْ كان مستطاعا ، يُعَدُّ أمرا فيه عيوب نفسية وتربوية ، ومضارُّ قومية وخسائرُ فى الجهد والمال . فما هى جدوى تعليم أبناء شعب بكاملهم لغةً أجنبية لن تستفيد الكثرة الغالبة منهم منها بشىء ، مع الاعتداء على جزء نفيس من وقت الطفل وإدراكه ينبغى أن يصرف كله فى تربيته تربية قومية متكاملة ؟

٤ - منافع مؤكدة :

٤-١ قد ثبت عندى ، فيما يشبه التجربة العلمية المقصودة ، أنه عندما دَرَّست مقرراً جامعيا مُعَيَّناً لجماعتين من الطلاب متكافئتين على وجه العموم ، تلقته إحداهما بالعربية وتلقته الأخرى بالإنجليزية ، كانت حصيلة طلاب المجموعة الأولى أكبر، وفهمهم للموضوع أتمّ وأعمق ، فى وقت أقصر وبجهد أقل .

٤-٢ واللغة - كما قدمنا - عنصر رئيسى للكيان الذهنى والعاطفى للإنسان ، ولذلك كان من مزايا التدريس بلغة المتعلّم الأصلية ، أنه يجعل عملية التعلم أقرب إلى التمثيل البيولوجى السويّ للغذاء ، تحيل العلم جزءا من صميم البناء الذهنى للمتعلّم له آثار أبقى وأقوى وآصل وأعمق ، فتجتمع عنده أدوات المقدرة على التحليل والمناقشة والنقد ، وعُدة الابتكار الأصيل . كذلك يصبح تعلُّم العلم عنده معرفة وثقافة ، فضلا على كونه تخصصا أو مهنة .

٤-٣ ويمكننا أن نتصور لغة العلم مركزا لأربع دوائر متداخلة : فى الأعمال والمهن العلمية ، وفى نشر الثقافة العلمية ، وفى تدريس العلوم ، ثم - رابعا - فى البحث العلمى ونشر نتائجه . وتدريس العلوم بالعربية يزيد من تآزر الدوائر الثلاث الأولى ، فمن « تعلّم » بالعربية ، لن يكون عسيرا عليه أن « يعمل » بالعربية ، وأن « يعلّم » بالعربية وأن يقوم بدوره فى العطاء والإسهام فى نشر الثقافة العلمية بين بنى وطنه .

٤-٤ إن تدريس العلوم فى الجامعة باللغة العربية سوف يُزيل الحواجز بين طبقة المتخصصين الجامعيين ومن يليهم من الفنيين وأمناء المعامل والمساعدين . وهذا سوف يزيد

من كفـاءة الأعمال العلمية بصفة عامـة ، ثم إنه يتيح لطبقة الفنيين الـوسطى أن تفيد من خبرات رؤسائهم الجامعيين وعلمهم ، وتفتح لهم أبواب الاطلاع على الكتب الجامعية المنشورة بالعربية ، فيستكملون ما ينقصهم ويحرزون تقدمًا أصيلا فى فنونهم .

٤-٥ ونحن الآن نعيش عصر العلم . ومن المؤكد أن شيوع تدرُّب اللسان القومى والقلم القومى والفكر القومى على تناول قضايا العلم ضرورة من ضرورات العصر ، إذ أنه يمكِّن المواطنين - فى جملتهم وعلى تنوع وتباين مراتب ثقافتهم - من أن يعيشوا عصرهم ويحسنوا فهم قضاياه . وهذا يسهم بدوره أيضا فى عبور الفجوة أو الجفوة بين « أهل الثقافتين » التى عبَّر عنها C . P . Snow فى أوائل الستينات (عبد الحافظ حلمى محمد ، ١٩٨٠ - ب) مما يعنى زيادة فى ترابط الأمة .

٤-٦ وتدريس العلوم بالعربية فى الجامعة ، فيه خدمة جليلة للغة العربية نفسها . فهذه اللغة المشرفة قد حفظها الله بحفظ قرآنه الكريم ، ولكن خدمتها وإغناءها وتجديد حيويتها بحسن توظيفها فى قضايا الحياة المتجددة فى عصورها المتعاقبة ... يظل هذا كله أمانة مفروضة على أبنائها فى كل عصر . والحق أن أسلافنا فى عصور الإسلام الزاهرة قاموا بحقوق هذه الأمانة على خير وجه، وينبغى ألا نقصر نحن فى إسهامنا بدورنا التاريخى نحوها . وإننى أعتقد أن أنجح المصطلحات العلمية العربية هى التى تتولد فى سياق الترجمة والتأليف ، فهى تُولد حيَّة تلبى حاجة قائمة لمقابلة مصطلح أجنبى قد يكون بالغ الحداثة .

٤-٧ وهذه المنافع التى عرضتها تتفق فى جوهرها وما قدمه لنا الزميل الفاضل الأستاذ الدكتور كمال بشر منذ أيام ، فى بلاغة واقتدار ، عندما أكد لنا أن التعريب اللغوى للعلوم مطلب قومى ، ومطلب علمى ، ومطلب لغوى ، ومطلب اجتماعى . وأضيف فأقول إن التعريب اللغوى - وهو مناط اهتمامنا الأول فى مجمعنا هذا - هو ، كما قدمت ، الخطوة الأساسية نحو تعريب العلم بمعناه الشامل وتأصيله فى مجتمعنا : أخذاً وتمثيلا وعطاء وتطبيقا . أما الخطوات التالية فهى مسئولية الجامعات والأكاديميات ومراكز البحوث ، التى تستطيع أن تستثمر شباب العلماء الذين حسن إعدادهم .

٥ - اللغة العلمية العربية فرض عين على دارسى العلوم والمشتغلين بها عندنا . أما اللغة العلمية الأجنبية فهى فرض كفاية :

٥-١ ولكـــن علينـا ، ونحن ننـــادى بأن نجـــابه واقـــع الحـــال وألاّ ندفن رؤوسنا فى الـرمـــال ، أن نحـذر - فى الـوقت نفسـه - أن نتعالى بها أكثرمماينبغى نحوعَنان السماء . إذ أنه يتـحـتم علينا أن نحـافظ على قنوات الاتصال بالعلم العالمى كلها مفتوحة جارية . وعلـينا أن نـدرك أن بعـض اللغـات الأجنبيـة (خصوصا الإنجليزية) سوف تظل أمدا طويلا وسـائل نشـر البـحـوث العلمـيـة والاتصـال بالأوساط العلمية العالمية . ومن ثم كان لزاما على الصفوة المختارة للبحث العلمى والدراسات العليا والقيادة العلمية أن تتقن لغة أجنبية . وهذه هى الدائرة الرابعـة من دوائر لغـة العلم الأربع التى ذكرتها .

٥-٢ والذين يلتـــحـــقـــون بالـدراســات الجامـعـيـة العليا قـلة ، فـضـلا على تميُّزهم النسبىّ ، وتَحـدُّد خط مـسـتـقـبلهم العلمى والعملى . وهذا كله يجعل العمل على إتقانهم لغة أجنبية أمراً ممكنا من ناحية ، وعملاً مجديا من ناحيـة أخرى . فـهـؤلاء هم الذين يطّلعـون ويبحثون وينشرون ؛ أما عامة خريجينا فقلما يُطلب منهم ، أو يتـاح لهم شىء من هـــذا . ولهذا ينبغى أن يكون إتقان لغة أجنبيـة من بين الأهداف البـارزة عند إعـداد طلاب الدراسـات العليا ، وينبغى أن تتخذ كل الوسائل الكفيلة بتـحـقـيـقـه . ولا بأس من أن يتـفـرغ أولئك الطلاب زمنا يبذلون فيه جهدا مكثفا لبلوغ هذا الهدف . ومما يشجعنا على هذا الرأى أننا رأينا بعضاً من شبابنا أوفدوا إلى بلد لا يعرفون من لغـة أهله شـيـئـا ، وإذا بهم ، بعـد أن عُهـد بهم إلى مـدرسين خبـراء بوسـائل التـعليم اللغـوى المستحدثة ، قد أصبحوا بعد أشهر معدودات أكفاء لإنجاز مهامهم العلمية بنجاح . وقد يُنظر فى أن تفرض الجامعات على طلاب الدراسات العليا فى العلوم أن يحرزوا مستويات محددة فى بعض الاختبارات العالمية للغة الإنجليزية . وهذا متبع فى بعض البلاد ، وأعتقد ألا غبار عليه .

٥-٣ والعلمـيـون الأكـفـاء فى اللغـات الأجنبية واللغة العربية هم الذين يمكن أن يُعهد إليهم بأعمـال الترجمة العلمية أو التلخيص والعرض باللغة العربية لنتائج بحوث إخوانهم العـرب المنشـورة باللغـات الأجنبيـة ، وكـذلك

للفيض المتدفق من الأعمال العلمية العالمية . ويُرجع فى هذا الأمر للخطة المحكمة التى رسمها أستاذى الدكتور محمود حافظ فى بحثه القيم الذى قدمه إلينا بالأمس القريب .

٥-٤ وأخيراً ، أعتقد أنه من الخير أن يُنظر فى أن تنفرد إحدى الجامعات المصرية بالعناية بتدريس العلوم باللغة الإنجليزية ، أو أن تخصص شعب معينة فى بعض الكليات لهذا الغرض (وهى التى تستقبل الطلاب الوافدين من غير الناطقين بالعربية ، والراغبين من الطلاب المصريين الذين أتموا دراستهم الثانوية فى الخارج أو فى مدارس اللغات) . وغنى عن القول ، أنه يجب أن يُعتنى بأن يتابع طلابنا الذين يدرسون باللغة العربية اهتمامهم باللغة الإنجليزية العلمية فى دروس معينة ، وأن تعرض عليهم على الدوام المصطلحات الأجنبية للعلوم التى يدرسونها .

٦ - خاتمة وتوصية :

٦-١ إن تعريب تدريس العلوم فى الجامعة أصبح ضرورة ملزمة ، حتى إنْ ظن البعض أنه ليس الوضع الأمثل . والاعتراف بهذه النتيجة هو ما تمليه علينا النظرة الموضوعية العملية الشجاعة للقضية . ونحن لا نكاد نعرف بين أمم العالم ، صغيرها وكبيرها ، أمةً تقدم العلم لأبنائها بغير لغتهم سوى ما يحدث فى بعض الجامعات العربية . فلا صعوبةُ كتابة اللغة اليابانية ، مثلا ، ولا صغر وحجم بعض دويلات أوروبا ، مثلا ، قد حالا دون أن تكون اللغة القومية هى لغة تدريس العلوم فى تلك البلاد .

٦-٢ وكثيرا ما نسمع أن تعريب تدريس العلوم فى الجامعات لا بد أن يكون قراراً سياسياً . وأقول : نعم ، ولكن ينبغى أن يكون هذا القرار صادراً من القيادات الجامعية . فأقترح أن تُجمع آمالنا وآراؤنا فى هذا الصدد وتقدم إلى السيد وزير التعليم ، وقد لمسنا تعاطفه مع قضايا اللغة العربية ، برجاء أن يحيل سيادته الأمر برمته إلى المجلس الأعلى للجامعات لكى يضعه موضع الدراسة الجادة الناجزة - فى غير تباطؤ أو تعجل - لمجالس الجامعات والكليات والأقسام المعنية به ، توطئة لاتخاذ القرار عن اقتناع وبينة ، وعلى أن يكون من أركان خطة التعريب المقترحة ، الشروع بلا توانٍ فى تنفيذها مع دفعة جديدة من الطلاب ، كما تقدم .

اللهم هيىء لنا من أمرنا رشدا ، وأنت - سبحانك - وليُّ التوفيق .

عبد الحافظ حلمى محمد

عضو المجمع .

مراجع:

عبـد الحـافظ حلمى محمد - ١٩٧٦ . « اللغة العربية لغة للعلم » . « مجلة العلم » . القاهرة ، ٣ : ١٧ - ١٩ .

عبد الحـافظ حلمى محمد- ١٩٨٠ - أ . « لغـة تـدريس العـلـوم فى الجامعـات » . فى : « تعريب التعليم الجامعى والعالى » - الأمـانة العامة لاتحاد الجـامعـات العربيـة ، القـاهرة : ١٥٣ - ١٥٩

عبد الحافظ حلمى محمد - ١٩٨٠ - ب . « الفجوة المتوهمة بين الدين والعلم » . المؤتمر السنوى للمجمع المصرى للثقافة العلمية ، القاهرة . الكتاب السنوىّ للمجمع ، ٤٩ (١٩٧٩) : ١٧ - ٣٧ .

عبد الحافظ حلمى محمد - ١٩٨٨ . « تعريب تدريس العلوم ضرورة ملحة » . رسالة كلية العـلوم ، جامعـة الكويت ، ٢٠ (١) : ١ - ٢ .

مصطفى الفيلالى - ١٩٨٢ . « نحـو استراتيجية للتـعـريب فى الـوطن الـعـربى » . فى : « التعريب ودوره فى تدعيم الوجود العربى والوحدة العربية » . مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت : ٤٦٧ - ٤٩٥ .

G . A. Russell . 1981 ." Islamic Science " In : Dictionary of the History of Science (eds . : W . F . Bynum) E . J . Brown, Ray Porter . The Macmillan Press, London .

* *
* * *